سلسلة المحاضرات واللقاءات العلمية لفضيلة الشيخ (٨٠)

نبي الرحمة



لفضيلة الشيخ

أ.د. عبد السلام بن محمد الشويعر

الشيخ لم يراجع التفريغ

نبي الرحمة

00966558883286
YouTube/alshuwayer9
alshuwayer9

للإعلام بالأخطاء الطِّباعية والاستدراكات والاقتراحات؛ يرجى المراسلة على البريد التالي:
tafreeghalshuwayer9@gmail.com

سلسلة المحاضرات واللقاءات العلمية لفضيلة الشيخ

٨٠

نبي الرحمة

لفضيلة الشيخ

أ.د. عبد السلام بن محمد الشويعر

النسخة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَأَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحبِهِ وَسَلَّمَ تَسلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَومِ الدِّينِ.

ثُمَّ أمَّا بَعدُ:

❍أَيها الإخوة الأكارم!!

فَإِن مِن أَفضَل العبادات القلبيَّة التي يَتَعبَّد بِهَا العبد إِلى الله عَزَّوَجَلَّ وَفِي نَفس الوقتِ يَكُون لَهَا أثرٌ على جَوارِحه مِن حَيث إِنَّها تَكُون مُؤَثرَةٌ في طِباعة وأخلاقه وَسمَتِهِ وَدلَّه، أن يَتَفكَّر المرءُ في صِفَات الجبَّار عَزَّوَجَلَّ، وأسمائه سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَلذَلِك: ثبتَ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ كما في حديث أَبِي هُريرَة رَضِيَ اللهُ عَنهُ أَنَّه قال: «**إِنَّ لِلهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»، **قال أَهل العلم**: ومعنى إِحصَاء أَسمَاء الله عَزَّوَجَلَّ، أن المرء يَعلَم أسماءهَا وينظر في معانيهَا ويتفكَّر في دلائلهَا، ثُمَّ بَعد ذَلِك يَدعُو الله عَزَّوَجَلَّ بِهَا عِندمَا يَطلُب مَا يُناسِبه.

❍ وَلذَلِك أَيها الإخوة الأكارم!!

فَإِن أَعظَم الذِّكر مَا كان فِيه ذِكرُ اللِّسَان مَواطِئ لِذكر القلب، فَإِذَا قال المرء: «**سُبحان الله**» بِلسانه وَواطئ لِسانهُ أن كان قَلبُه عارفًا لِمعنى «**سُبحان الله**» ودلائل هَذِه اللَّفظة؛ فَإِنَّه حِينئذٍ يَكُون أَعظَم الذَّاكرين.

وَلذَلِك: جاء عِند الإمَام أَحمَد مِن حديث عَدِي بن حَاتِم رَضِيَ اللهُ عَنهُ أَنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ قال لِعدي: «**يَا عَدِي أتعلم مَا مَعنَى الله أَكبَر؟**»؛ فَقَال عَدِيٌّ الله وَرسُوله أَعلَم، فقَال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «**فإِن الله أَكبَرُ مِن كُلِّ شيءٍ**».

○أيها الإخوة الأكارم!!

إنَّ مِمَّا يُنَاسِب اَلحدِيث في هَذِه اللَّيلة أَننَا ستتحَدَّث عن صِفةٍ مِن صِفَات الجبَّار ﷻ هِي مِن الصِّفَات العظيمة، ثُمَّ ستتحَدَّث عَمَّن أَمتَثل في هَذِه اَلصفَة وأثَّرت فِيه، إِذ قرَّر أَهل العلم رحمهم اَلله تَعالَى أن أَكمَل الصِّفَات في المخلوقين مَا كَانَت مِن صِفَات الجبَّار ﷻ كالكَرم والرَّحمة والفَضل والإنعام.

وَلذَلِك: فَإِن مِن هَذِه الصِّفَات كَمُلَت في نَبِينَا ﷺ مِن المخلوقين، إن اَلصفَة التي سنتكلمُ عَنهَا اللَّيلة هِي: «**صِفة الرَّحمة**» هَذِه اَلصفَة العظيمة التي يَدُل على عِظمهَا أُمُور:

أَولُها أنَّ اَلله عَزَّوَجَلَّ وَصف نَفسهُ بِهَا، وَمِن ذَلِك أنَّ اَلله عَزَّوَجَلَّ جَعل لَه اِسمين مُشتقَّان مِن هَذِه اَلصفَة، وَهِي: «**الرَّحمة**» على القول بِأنَّ الأسماء تُشتَق مِن الأفعال؛ فإن اَلله عَزَّوَجَلَّ مِن أسمائه الرَّحمن وَمِن أسمائه اَلرحِيم، وَهَذان الاسمان يُبتَدَأ بِهمَا في كِتَاب اَلله عَزَّوَجَلَّ حِينمَا يَقرَأ المرء كِتَاب اَلله عَزَّوَجَلَّ فيشرع لَه أن يَبدَأ فَيقُول: بِسم الله الرَّحمن الرَّحِيم، وأنتَ إِذَا جِئت بِهَذه اللَّفظة **أي**: بِسم الله الرَّحمن الرَّحِيم؛ فَإِن أَوَّل حَرفٍ فِيهَا وَهُو «**اَلباء**» هُو لِلاستعانة بِهَذه الأسماء العظيمة التي سمِّي اَلله بِهَا نَفسُه وللتَّبرُّك بِهَا، وَهذَا يَدُلنَا أَيهَا اَلموفّق على عِظم هذا الاسم اَلذِي اِختصَّه اَلله عَزَّوَجَلَّ لِنفسه وَهُو: «**الرَّحمن**»، والاسم الثَّاني وَهُو: «**اَلرحِيم**» اَلذِي رُبمَا شاركه بِه غيرهُ مِن اَلخلق، وأكمل مِن شَركَة بِه مِن اَلخلق مُحمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ.

لِذَلك: قال اَلله عَزَّوَجَلَّ في وَصف نبيِّه: ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة:١٢٨] ، المقصود أيها الموفَّق أنَّ هَذِه اَلصفَة مِن صِفَات الجبَّار ﷻ هِي «**الرَّحمة**» صِفةٌ عَظِيمَة، مِن تَأمُّل فِيهَا وَنظَر في أَفعَال اَلله عَزَّوَجَلَّ، زاد يقينه بِرَبه ﷻ، وَكثُر تَعلقُه به سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ؛ فَإِنَّه أرحم الرَّاحمين ﷻ، وإن مَا يَتَراحَم بِه النَّاس في الأرض مِن رَحمَةٍ فَإِن اَلله عَزَّوَجَلَّ لَه مِن الرَّحمة أَضعَاف أضعافهَا، فقد قال النبي ﷺ : «إنَّ اَلله عَزَّوَجَلَّ خَلق رَحمَةً يَتَراحَم النَّاسُ بِهَا، واختصَّ اَلله عَزَّوَجَلَّ لِنفسه بِمئة رَحمَة».

وإن مِمَّا يُنَاسِب اَلحدِيث عن الرَّحمة في هَذِه الأيَّام، أنَّ هذَا الشَّهر اَلذِي نَحنُ فِيه هُو شَهر رَحمَة، فقد روينَا عِند عَبد اَلغَنِي المقدسي في كِتابه «فَضائِل رَمَضان» أنَّ النبي ﷺ قال: «**شَهر رَمَضان شَهر الرَّحمة**»، وَجَاء عِند اِبن خُزيمَة والبيهقي مِن حديث سَلمان رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أنَّ النبي ﷺ لِمَا ذكر رَمَضان قال: «**أَولّه رَحمَة**»؛ فَهذَا الشَّهر شَهر رَحمَة؛ **وَلذَا**: فَإِن أَحظَ النَّاس بِالإحسان في هذَا الشَّهر،

وأكملهم بِه اِقتِداءً بِالنَّبِيِّ ﷺ، وامتثالاً لِأَمر اَلله عَزَّوَجَلَّ هم الذين يرحمون النَّاس في هذَا الشَّهر.

وَلذَا: كان النبي ﷺ جوادًا، لَكنَّه في رَمَضان كان أَجوَد؛ لِأنَّ هذَا الشَّهر شَهرُ رَحمَةٍ وشهر جُود، قال اِبن عَبَّاس رضي الله عنه: «**كان النبي ﷺ أَجوَد مِن الرِّيح المرسلة**»، أَجوَد مِن الرِّيح المرسلة، ثُمَّ ذكر رضي الله عنه مَا كان مِن زِيادة فِعلِه ﷺ في شَهر رَمَضان.

○ أَيهَا الموفّق!!

إِنَّ مِن رَحمَة اَلله عَزَّوَجَلَّ أن جعل لَنَا مَواسِم للرَّحمة فرمضَان رَحمَة، وَعرفَةُ يَومُ رَحمَة، ويوم اَلجُمعة رَحمَة، جاء عِند ابن أَبِي شَيبَة عن عَائِشة رضي الله عنها أَنهَا قَالَت: «تُفتَحُ أَبوَاب الرَّحمة في يَوم عَرفَة، وَفِي يَوم اَلجُمعة» وَتَقدَّم مَعنَا مِن حديث سَلمان وَغيرِه أن النبي ﷺ قال: «**في رَمَضان تُفتَحُ أَبوَاب الرَّحمة**».

○ أَيهَا الإخوة الأكارم!!

إِنَّ مِمَّا قَرّرَه أَهل العلم رحمهم اَلله تَعالَى: أن أكرم النَّاس صِفَات مِن اتَّصف بِصفات الجبَّار جل جلاله؛ **وَلذَا**: فَإِن اَلله عَزَّوَجَلَّ يَختَصُ لِنفسه جل جلاله وَيصِف نَفسَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بِأكرم الصِّفَات وأعلاهَا؛ **وَلذَا**: كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ هُو أَكمَل النَّاسِ صِفَات وأتّمهم أخلاقًا، وقد جاء عَنه ﷺ أَنَّه قال: «**إِنَّما بَعثَتُ لِأتمِّم مَكارِم الأخلاق**»، وَمِن صِفاته التي أَثنَى اَلله عَزَّوَجَلَّ عليه بِهَا، بل وقد أَنعَم اَلله عَزَّوَجَلَّ عليه بِهَا كَذلِك أن جعل اَلله عَزَّوَجَلَّ نبيُّه مُحَمدًا ﷺ رحيما، ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨] ؛ فالنَّبيُّ ﷺ رحيمٌ بِالمؤمنين، بل إِنَّه رحيمٌ بِالمؤمنين وبغيرهم؛ كما قال اَلله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] ، فقول اَلله عَزَّوَجَلَّ: «**إِلَّا**» هَذِه تُفيد الحصر، وقوله: «**رَحمَةً لِلعالمين**» إِمَّا أَنهَا مَنصُوبة على أَنهَا مَفعُول أو على أَنهَا حالٌ للمُبَالغَة أو على أَنَّهُ مَحذُوف اَلمُضاف أي أَنَّك ذا رَحمَةٍ؛ فالنَّبيُّ ﷺ مِن تأويلات هَذِه اَلآيَة أنَّ اَلله عَزَّوَجَلَّ قد جعل مِن أَجلّ صفات النبي ﷺ أن كان ذَا رَحمَة؛ فَهُو مُتصِفٌ بِهذه الرَّحمة في قَلبِه ﷺ، وَمتصِفٌ بِهَذه الرَّحمة، في فِعلِه صَلَوات اَلله وسلامه عليه، وقول اَلله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] هَذِه اَلآيَةُ العظيمة تَدّلنَا على دلالتينِ:

الدَّلالة الأُولى: أنَّ كُلَّ مَا أَرسَل بِه النبي ﷺ مِن شرعٍ؛ فَإنَّه رَحمَةٌ مِن اَلله عَزَّوَجَلَّ، فشرائع اَلله عَزَّوَجَلَّ ومَا فِي كِتَاب اَلله عَزَّوَجَلَّ ومَا شَرعَه مِن أَحكَامٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كُلهَا رَحمَةٌ بِالمؤمنين، وإن ظنَّ النَّاسُ أنَّ فِي بعضهَا مَشقَّة، وإن ظنَّ النَّاسُ أنَّ في بعضهَا شِدَّة، إلَّا أنَّ مآلهَا إلى الرَّحمة فَهُو - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لَرُبمَا اِبتلَى اَلمُؤمن بِبَعض العبادات وبعض التَّكليفات لِيمتَحن إيمانه وَيعرِف صِدقه مِن كَذبِه، ألم يَقُل اَلله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [الأنفال:٣٧]، ويقُول اَلله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود:٧] ، وقَال ﷻ: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت:٢-٣].

إِذًا أَيها المـُوفّق!!

إنَّ اَلله عَزَّوَجَلَّ يَشرَع أُموراً ويأمرُ بِأوامر وتكاليف مُعَينَة هِي فِي مآلهَا إلى رَحمَة، وَهِي فِي أَصل تشريعهَا مِنّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إِذ الجنَّة دَرَجات، كما أنَّ النَّار دركَات، ولَا يَعتَلِي المرءُ فِي دَرجات الجنَّة إلَّا بِمَا اُبتُلِي بِه فِي الدُّنيَا، مِن مَصائِب وَمحَن ومَا اُبتُلِي بِه مِن الصَّبر على الطَّاعَة مِن كَمَال اِلتِزام لِأوامر اَلله عَزَّوَجَلَّ، وَممَّا دَلَّت عليه هَذِه اَلآيَة مَا اِتَّصف بِه النبي ﷺ مِن أَكمَل الأخلاق وَأَتّمهَا وَأَجلّهَا وأعلاهَا.

وَلذَلِك: فإن النبي ﷺ كان فِي خُلقه أَعلَى اَلخُلق، ومن كان مسَّتنَا فَليستن بِصاحب هذَا القبر مُحمَّد ﷺ ؛ فلَا خُلق أتمَّ مِن خُلُقه، ولَا طَبع أتمَّ مِن طَبعِه ﷺ ، حَتَّى إنَّ بَعض أَهل العلم قد قَررُوا قَاعِدةٍ فِقهيَّة: أنَّ مَا استخبثه النبي ﷺ واستخبثه بَنُو جنسِه مِن العرب الذين كَانُوا فِي وَقتِه فَإنَّه يَكُون مَحرَم الأكل، هَذِه قَاعِدة أوردَهَا بَعض أَهل العلم ولبعضهم نِزاعٌ فِيهَا، وَهذَا يَدُلنَا على مَا ذكرتُ لَك أنَّ خُلقَه ﷺ أتمَّ اَلخُلق، وطبعهُ ﷺ أتمَّ الطَّبع.

وَمِن أَعظَم أخلاقه ﷺ التي أَنعَم اَلله عَزَّوَجَلَّ عليه بِهَا الرَّحمة، وَلذَا نعته عَزَّوَجَلَّ بِهَا بل قد جعلهَا حصرا: ﴿إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] ، على إحدى التَّأويلات «إِلَّا» ذَا رَحمَة بِالعالمين، فيكُون النبي ﷺ مِن أَجلّ صِفاته أَنَّه رحيمٌ بِالمؤمنين، وَهِي اَلصفَة التي نَعتَهُ اَلله عَزَّوَجَلَّ بِهَا فِي كِتابه، وَلنُعلم أنَّ هَذِه اَلصفَة إِنَّما هِي رَحمَةٌ مِن اَلله عَزَّوَجَلَّ بِالنَّاس وَهِي سُبحانه نِعمَةٌ منه ﷻ على نبيِّه ﷺ .

وَلذَلِك: يَقُول اَلله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾ [آل عمران:١٥٩] ؛ فَمِن رَحمَه اَلله عَزَّوَجَلَّ أن طَبع نبيِّهُ مُحمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الرَّحمة، وجعله رقيقًا، وجعله رحيمًا، وجعله مُحسنا، كما أنَّ هَذِه الرَّحمة التي اِتَّصف بِهَا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّما مَآلُها إِلى الوحي، وَلذَلِك لِمَا سَألَت عَائِشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عن خَلق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا هُو؟ قَالَت: «**كان خَلقَه اَلقُرآن**»، فَمِن اِمتثَل اَلقُرآن اِمتثَل مَكارِم الأخلاق، وأكمل النَّاسِ اِمتثالًا لِلقرآن، وفهمًا لِمعانيه هُو مُحمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَلذَلِك كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُو نَبِي الرَّحمة، وكانت هَذِه اَلصفَة أيَّ صِفة الرَّحمة، كَانَت صِفة مُلَازمَةً لَه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

أَيهَا الإخوة!!

إنَّ هَذِه اَلصفَة في النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكونه رحيمًا، صِفةٌ ظَاهِرة في أفعاله دائمًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وإن أُصدِّق مِن صِدق عليه بَيت أَبِي تمام:

[هُوَ اليَمُّ مِنْ أَي النَّواحي أتيتَهُ فلُجَّتُه المعروفُ والجُودُ سَاحِلُهْ]

إِنَّما تصدق عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛ فإنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اَلجُودُ طبعٌ لَه، والرَّحمةُ سَجيَّةٌ مُلَازمَةٌ لَه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِذَا رأيته في دَلَّه بل وَإِذَا رأيته في مَشيِه، وَإِذَا رأيته في قِيامه وَقعُوده فَإِنَّك تلحَظُ في أخلاقه كُلها الرَّحمة، رحمته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيسَت لِلمؤمنين بل هِي أَشّدُ بِالمؤمنين لَكِنهَا أيضًا رَحمَةٌ لِلعالمين ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] ، وَإِذَا كَانَت رحمتهُ شَامِلةً اَلمُؤمن والكافر، قال عمرو بن العاصي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ورحمه-، كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يُقبَل بِوجهِهِ على شِرَار القوم وكفَّارهم يتألفهم، فكَان مِن رَحمتِه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّه يُقبل بِوجهه وينظر إِليهم بِابتسامةٍ وَلُطفٍ وإحسَان يَرجُو تألفهم رَغبَةً في إِسلامهم أو رَغبَةً في كفِّ شَرهِم عن المؤمنين؛ فَلَربمَا كان بِإحسَان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِبَعض القوم كفٌّ لِشَره عن بَاقِي المؤمنين وَهذَا وَاضِحٌ في سِيره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

رحمتهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَت بِالصَّغير والكبير معًا، أمّا اَلكبير فقد ثبتَ عَنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّه قال: «**لَيس مِنَّا مِن لَم يَرحَم صغيرنَا ويوقِّر كبيرنَا**»؛ فدلَّ ذَلِك على أنَّ تَوقِير الكبير مِن رَحمَتِه وَرحمَة اَلصغِير كَذلِك بِالإحسان إِلَيه، وقد جاء في بَعض أَلفَاظ هذَا اَلحدِيث أنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وَمِن وَقر كبيرًا لِشيبتَه سَخرِ الله** عَزَّوَجَلَّ **لَه مِن يُوَقره عِند شَيبتِه**» **قال بَعض أَهل العلم**: وَهُو الشَّيخ مُوسَى الحجَّاوي وَفِي

هذَا اَلحدِيث دليل على أنَّ مِن وَقّر كبير السِّنِّ فإن اَلله يُطيل في عُمرِه؛ لِأنَّ النبي ﷺ قال: «**إِنَّ مِن وَقر ذا شَيبَة سَخرِ اَلله مِن يوقّره إِذَا كان ذا شَيبَة**»، وَفِي هذَا إِيماءٌ وإشارةٌ إِلى طُول عُمرِي ومدُّ عُمرِي مِن عُنِي بِتوقِير كبير السِّنِّ، والنَّبيُّ ﷺ برحمَته كان يَرحَمُ الرِّجَال والنِّساء معًا، وقد قال النبي ﷺ: «**أُوصيكم بِحقِّ الضَّعيفينِ، المرأةُ واليتيم**»، إنَّ بَعض النَّاس إِذَا رأى مِن نَفسِه قُوَّةً على اِمرأَةٍ فَإِنَّه يُغالبهَا حَقهَا، ويمنعهَا مَا أمر اَلله عَزَّوَجَلَّ بالوفاء إِليهَا، إمّا مِن حقٍ عَينِي تَملكهُ مِن مال وَنحوِه، أو مِن حقّ مَعرُوفٍ وإحسَان؛ وَلكِن لِيعلم المرء أنَّ اَلله عَزَّوَجَلَّ يُراقِبه، وأن اَلله عَزَّوَجَلَّ نَاظِرٌ إِلى فِعلِه مَعهَا وَمعَه أي مع اَلصغِير واليتيم، ومحاسبةُ عليهَا.

وَمِن رَحمَتِه ﷺ أَنّه رحيمٌ كَذلِك حَتَّى بِالدَّوابِّ، فقد كان النبي ﷺ يَنهَى عن تحميلها فَوق طَاقتِها، وينهى النبي ﷺ عن رُكُوب الدَّوَابِّ التي لَم تُجعَل لِلرُّكوب، فقد ذكر أنَّ بَقرَةً التَّفَتّت وقالت إِنِّي لَم أَخُلق لِلرُّكوب، فَتعجِب القوم، فَقَال النبي ﷺ: «فإني أُؤمِن بِذَلك وَأبُو بَكر وَعُمر»، ولـم يكُ أَبُو بَكرٍ وَعمَر حَاضرِين، وَهذَا يَدُلنَا على أنَّ الإحسان والرَّحمة تَكُونُ لِلحيوان وللّأدمي معًا.

❍ بل أعجب مِن ذَلِك!!

فَإِن مِن رَحمَة النبي ﷺ أَنَّه رحيمٌ حَتَّى بِالجمادات؛ فإن النبي ﷺ كان يَخطُب على جِذعٍ يَقُوم عليه ويرقى ويُعلم المسلمين وَيعِظ عليه، ثُمَّ إِنَّه صنع لَه قَوم مِن بَنِي النَّجَّار مِنبَرا، مُكَونا مِن ثَلَاث دَرَجات فَلمَّا رَقَّى عليه النبي ﷺ في موعظَته حنَّ الجذع، حنَّ الجذع وَبكَى بِفقده النبي ﷺ، وَلمَّا كان يسمعه مِن الوحي اَلذِي يُتلَى عليه، فجاءه النبي اَلله عليه وَسلَّم ووضع يَدهُ على ذَلِك الجذع وَهذَا مِن رَحمَة النبي ﷺ بِالعالمين حَتَّى في الجمادات.

❍ أَيهَا المـُوفّق!!

إنَّ النَّظر في رَحمَة النبي ﷺ هِي النَّظرُ في سَنتِه ﷺ، ولَا يُوقِّرُ أحدٌ النبي ﷺ حقّا توقيره إِلَّا إِذَا عَلِم سَنتَه.

لِذَلك: أَعظَم النَّاس توقيرًا لِلنَّبيِّ ﷺ، وأعظم النَّاس اِستنانًا بِه ﷺ، وأعظم النَّاس مَحبَّة لَه هُم الذين يعلمون سُنتَه:

[أَصحَاب النبي أَهل اَلحدِيث هُم أَصحَاب النبي وَإِن لَم يصحبوه أنفاسه صَحبُوا]

وَلذَلِك: كُلمَا عُنِي المرء بِذكره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وبالصَّلاة عليه، وبمعرفة حَدِيثَة سَمَاعًا وحفظًا وَفقِهًا وَنظرا؛ كُلمَا كان أَولَى به عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ وَلذَلِك اِستدَل بَعض أَهل العلم في الدَّلالة على هذَا المعنى أنَّ أقرب النَّاس إِلَيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن اِتَّصف بِهذين الأمرين لِحديثين:

- **اَلحدِيث الأوَّل:** حِينمَا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ**» اِستدَل بِه سُفيان بن سعيد على فَضل المعنيِّين بِالحديث وتعليمه.

- **الحديث الثَّاني:** عِندمَا ذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنَّ أُولَى النَّاس قُربًا مِنه درَجَة يوم القيامة، أكثرهم عليه صَلَاة**»، اِستدَل الكناني وغيره على أنَّ المعنيِّين بِحديثه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقراءة سِيرته الذين يُكثرون مِن الصَّلَاة والسَّلام عليه هُم الذين يقصدون ويكونون أَولَى بِالدُّخول في هذَا اَلحدِيث.

- **وَلذَلِك أَيهَا الموفّق!!**

إنَّ كُلَّ سَاعَةٍ تقضيهَا في قِراءة سِيرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اَلزكِية، والنَّظر في أخباره الطَّاهرة اَلنقِية، فَإنَّك تُؤجّر عليهَا، ثُمَّ إِنَّك إِذَا اِمتثلتهَا فَإنَّك حِينئذٍ تَتحقَّق كَمَال الامتثال على سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

- **وَلذَا أَيهَا الموفّق!!**

فأكمل النَّاسِ مِن امتثَل سُنتَه واتَّبع سُنتَه، وعُنِّي بِهديه فاقتَدى به ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾ [الأحزاب: ٢١] وَهذَا أَمرُ اَلله عَزَّوَجَلَّ لِلمؤمنين، وَلذَا: فَإِن اَلمُؤمن يتأسى بِالنَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصفاته فَيكُونُ رحيما، يتأسى بِالنَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأفعاله، فيقتَدي بِأفعاله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

- **وَلذَا أَيهَا الموفّق!!**

كان الذين يرحمون هُم مِن أقرب النَّاس صِفَاتٍ به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِمَا جاء أعرابيٌّ لِلنَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرَأى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقبّل صبيًّا، نظر الأعرابيُّ إِلَيه وَقَال يَا رَسُول اَلله إِنَّ لِي عَشرَةً مِن الولد، لَم أُقبّل أحدًا مِنهم فَقَال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَرأَيت إِنّ نَزع اَللهُ الرَّحمة مِن قَلبِك**» قالهَا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مَقَام الذّم، ولذا مِن عرف اَلسنَة مَعرِفة اليقين بِأن عرفهَا مَعرِفة لَفظٍ وَمعرِفة يقين بِاعتقادٍ بِصحَّتِهَا وجد الرَّحمة مُتصفَةً بِقلبه.

وَلذَا: أَختِمُ حَديثِي أَيهَا الإخوة بِثمرةٍ عَظِيمَة وَهُو أنَّ التَّفكُّر فِي صِفَات اَلله - عَزَّوَجَلَّ - مؤثّرةٌ في أَفعَال العبَاد، وَمِن أَثرِها فِي أَفعَال العبَاد: أنَّ أكمَل العبَاد صِفَات من كَانَت صِفاتهُ أَشبَه بِصفات الجبَّار جَلَّ جَلَالُهُ؛ وَلنُعلم أن أَكمَل الصِّفَات فِي المخلوقين هِي صِفَاتُ نَبِينَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كما أَنَّ أَعلَم النَّاس بِالله عَزَّوَجَلَّ هُو نَبِينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أَنَا أعلمكمُ بالله وأتقاكم لَه**».

وَلذَا: فإن النَّظر فِي سُنَّة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسيرَته، وخبره ومَا نُقل عَنه يَدُلنَا على مَعرِفة هَديه اَلذِي أَدّبُه ربُّه إِيَّاه، وَالذِي فطرهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - عليه، فيتطَبَّعُ اَلمُؤمن بَعد ذَلِك بِهَذا الطَّبع، وَمِن أَجل هَذِه الأخلاق والصِّفات «**صِفة الرَّحمة**» وَليعنِي المرء بِهَذه اَلصفَة فإنّ العناية بِهَا تتَّبعهَا سَائِر صِفَات الكمَال، **وَلذَلِك قال عُلَماء الأدب**: إنَّ صِفَات الكمَال مردَّهَا إِلى صِفتينِ: «**اَلحلم والرَّحمة**» وَصَفات السُّوء مردَّهَا إِلى صِفة وَهِي: «**الغضب**».

اسأل اَلله اَلعظِيم ربَّ العرش اَلكرِيم أن يَرزقنا العلم النَّافع والعَمل الصَّالح، وأن يتولَّانَا بِهداه، وأن يَغفِر لَنَا ولوالدينَا وللمسلمين والمسلمات، واسأله جَلَّ جَلَالُهُ أن يَرحَم ضَعفُنا، وأن يجبر كسرنا وأن يُجيرَنَا مِن خِزي الدُّنيَا وَعَذاب اَلآخِرة، واسأَله جَلَّ جَلَالُهُ أن يَرزُقنا عِلمًا نَافعا وقلبًا خَاشعا وعينًا دَامعة، واسأَله سُبحانه أنَّ يَرزُقنا صُحبَة نبيِّه مُحمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَنَّات النَّعِيم، وأن يجعلَنَا مع الصَّديقينِ والشهداء والصالحين، واسأَله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يَغفِر لوالدينا وأن يرحمهمَا وأن يجزيهما خَير مَا جزى وَالدًا عن وَلدِه وأن يَغفِر لِميِّتهمَا وأن يَشفِي مريضهمَا وأن يُصحِّح أبدانهمَا، واسأَله جَلَّ جَلَالُهُ أن يَصلُح لَنَا فِي ذُرِّيَّاتنَا وأن يُبَارِك لَنَا فِيهم وأن يَجعَل لَنَا قُرَّة عَيَّن فِيهم، رَبنَا هبَّ لَنَا مِن أزواجنَا وذرِّيَّاتنَا قُرَّة أَعيُن، واجعلنَا لِلمتَّقين إِمامًا، واسأَله جَلَّ جَلَالُهُ أن يَصلُح أَحوَال المسلمين فِي كُلِّ مَكَان، وأن يُولي عَليهِم خِيارهم، وأن يكفيهم شرّ شرارهم، واسأَله جَلَّ جَلَالُهُ أن يُصلح وُلَاة أُمورِنَا، وَيدلهم على كُلِّ خَير، وَصلَّى اَلله وَسلَّم وبارك على سيِّدنَا وَنَبينَا مُحمَّد وَعلَى آله وَصحبِه أَجمعِين.